٤

فترة العبودية (١٧٠٦-١٤٩١ ق. م.)
من الهجرة إلى مصر حتى الخروج منها
خروج ١-١٤

تأليف: ب . س . دين

١. مصر في فترة عبودية اليهود

ينقسم تاريخ مصر القديم إلى ثلاث فترات

١. الأمبراطورية القديمة. منذ فترة العصور المجهولة إلى ٢١٠٠ قبل الميلاد.
٢. الأمبراطورية الوسطى أو أمبراطورية الهكسوس، ٢١٠٠-١٦٥٠ قبل الميلاد.
٣. الأمبراطورية الجديدة، ١٦٥٠- ٥٢٥ قبل الميلاد. من وقت طرد الهكسوس إلى أحتلال مصر من قبل الأمبراطورية الفارسية.

في الفترة الأولى، قام مينوس بتعزيز القبائل في شمال مصر، وأسس أول عاصمة، في ممفيس، وأولى السلالات المتكونة من أحدى وثلاثين سلالة التي حكمت على مصر. وبعد عدة قرون بنت السلالة الرابعة الهرم الكبير. وبعد ذلك من تلك الفترة قامت السلالة الثانية عشر بنقل مقر الحكم إلى تيبة في جنوب مصر، المكان الذي فيه تقلدوا السلطة في العصر الزاهي للفترة الأولى.

الهكسوس أو ملوك الرعاة في الأمبراطورية الوسطى كانوا محتلين ساميين من آسيا. بربر غير متحضرين في الأصل، وتمكنوا من تنظيم أنفسهم وتحت حكمهم عانت الحضارة المصرية من التراجع.

الأمبراطورية الجديدة كانت قد أعلنت من قبل آموسيس الذي طرد الهكسوس وأسس السلالة الثامنة عشر المشهورة، التي تتضمن تحتمس الثالث. الذي عرف بالكسندر المصريين. هذا، مع السلالة التاسعة عشر أسسا العصر الأكثر أزدهارا في التاريخ المصري. ومن المحتمل أن الهجرة اليهودية من أرض الكلدانيين حصلت في القسم المبكرمن حكم هذه السلالة، وهجرتهم إلى مصر كانت في وقت متأخر من الفترة الوسطى. وهذه سوف تضاف للأعتبارات التي عامل بها فرعون إبراهيم ويوسف ويعقوب. سوف لن يشارك الساميون أنفسهم المصريون بكرههم للأجانب.

٢. الظلم

أنتهى سفر التكوين بتقدير عالي للعبرانيين من قبل المصريين. وبدأ سفر الخروج بالحديث عن سلالة العبيد. أرض مصر أصبحت «بيت العبودية» وبمرور التاريخ المقدس. طرأ الصمت على تلك القرون. ربما تظهر بعض السلالات وتهبط أخرى، ربما تأججت حروب بعيدة، معابد زاهية لا تزال آثارها ترهب العالم، ربما شيدت للمجد الدنيوي ليس لتلك المعابد مكان في السجل المقدس. إلى أن دقت الساعة للتقدم الجديد في التطور للموعد بالفداء وهي القصة التي أستأنفت.

في النهاية «قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف» (خروج ١:٨). أكبر الفوائد تتلاشى حالا. ضمن الأربع عشرة سنة لسيلاميس، تم نفي ثيمستوكلس. خلال السبع عشرة سنة لحرب واترلو، هجم غوغاء لندن على دوقية ولنكتون. من الصعب أن نستغرب أن تلك القرون من التاريخ قد أثرت على تحسس الخدمات الكبيرة التي قدمها يوسف العبري. «الملك الجديد» ربما أشار للثورة التي أخرجت الهكسوس الساميين من مصر، وأعاد الحكم للسكان الأصليين. فراعنة العبودية والخروج يفترض أن يكونوا سيتي الأول، رمسيس الثاني ومنيفثا، جميع ملوك السلالة التاسعة عشر. نبه سيتي على التزايد المتوالي

للعبرانيين، وجدد الدعوة عن الأحتلال والأغتصاب الطويل للعرش من قبل الهكسوس، ووطد العزم على كسر روح العبرانيين. لقد أجبرهم على الكدح في معامل الطابوق، وأستمروا بالتكاثر. أخيرا أمر أن يلقى كل طفل ذكر في نهر النيل. ثم جاء المخلص.

٣. ولادة ومهمة موسى

الكل في الكل كوطني وشاعر ومحرر ومانح الناموس ومؤرخ ورجل، فأن موسى هو أعظم شخصية انسانية في التاريخ. فراعنة السلالتين الثامنة عشروالتاسعة عشر تركوا أعمالهم محفورة على الرخام. ومع ذلك لا تزال أسمائهم مبهمة كما في صورهم في المومياء التي أقيمت مؤخرا. كتب موسى سجلاته على العرق وفي الدين. أسمه يكبرحتى بعد مرور ثلاثة وثلاثون قرنا و عندما أنتزع فرعون المتعالى في الليل قراره بالسماح لشعب الله بالخروج من مصر. تقع حياة موسى بصورة عامة في ثلاثة أقسام متساوية: الأربعون سنة في مصر، أربعون سنة من النفي في مديان، وأربعون سنة كمحرر، القائد والمنظم لإسرائيل. تاريخه خلال الأربعين سنة الأخيرة هو تاريخ شعبه، والذي يقع بالأساس في الفترة التالية.

١. أربعون سنة في مصر. – *أ. ولادته وتعليمه.* – ولد موسى لأبوين كانا يخافا الله، هما عمرام ويوكابد من عشيرة لاوي. أبنتهم مريام وأبنهم الأكبر هارون كانا قد ولدا قبل مرسوم القتل الذي أصدره سيتي. ولكن ليس أبنهم الثالث موسى. بقت ولادته سرا عن السلطات لمدة ثلاثة أشهر. وعندما أصبحت السرية غير ممكنة بعد ذلك، وضع الطفل الجميل بسلة من القصب على مياه نهر النيل وأكتشفته أبنة فرعون وتبنته، وأسمته موسى. مريام التي تبعت السلة وحمولتها الثمينة، عرضت أن تستدعي المرضعة وجاءت بأمه، كان كل هذا يتم بعناية الله، صديق المستقبل، محرر ومنظم الأمة تربى في أعلى حضارة ثقافية في العالم (أع ٧:٢٢)، في أسمى الإيمان الروحي في العالم.بواسطة أمه العبرية.

ب. *أختيار موسى.* – وجاء موسى إلى عالم الرجولة وسر أصله العبري في داخله. وشاهد مصريا يضرب عبريا، قتل المصري، وأخفى الجسد في الرمال. ومما لا شك فيه كان لموسى دما حارا ينبض في عروقه أحتجاجا على عدم العدالة. ولكن ذلك العمل كان وليد تلك اللحظة. هناك شيئان واضحان في الرسالة إلى العبرانيين (١١:٢٤–٢٦) وكذلك وفي سفر الاعمال (٧:٢٣–٢٥): (١) لقد رفض بتعمد تطوعي كل ما تقدمه الملوكية في مصر حيث لا توازي حالة تحرر أخوته من العبودية، (٢) كان يأمل أن تثار إسرائيل نحو الحرية. ولكن الوقت لم يحن بعد، لم يكن هو ولا شعبه جاهزين في ذلك الوقت. القيود يجب أن تصبح أثقل، ويجب أن يؤدب موسى نفسه من أجل عمله الكبير. مصر مدرسة جيدة للفنون والعلوم. وعلى حجر أمه تعلم الدروس الأولى في الدين ولكن يجب عليه أن يكون أكثر مع الله قبل أن يصبح متأهلا لمهمته السامية. في صحراء مديا ن والعزلة في سيناء كان الله معلما لموسى، ولقد وجد جامعته واستلم الشهادة.

٢. أربعون سنة في مديان. – هرب موسى إلى مديان، شرق البحر الأحمر. وعندما كان جالسا في مساء أحد الأيام على حجارة البئر، أتين بنات كاهن مديان السبعة ليستقين الماء وليسقين غنم أبيهن. جاء بعض الرعاة الجلفين وطردوا القطيع. روح موسى وشهامته نيابة عن أخوته الذي تعرضوا للظلم ليس أقل من شهامته على أهل مديان المظلومين أيضا. حان الوقت للغريب للمساعدة «المصري» أثبت أنه مقدمة مفضلة. تزوج من صفورة، ابنة يثرون. ولمدة أربعون سنة تبع النداء الهادئ في داخله كراعي في مديان. هناك أصبح متآلفا مع المنطقة الوعرة التي سيقود شعبه من خلالها إلى أرض الميعاد. وأخيرا ظهر الله له في العليقة. أظهر نفسه على «أنه إله إبراهيم وإسحق ويعقوب» وجدد العهد الذي لعب دورا مهما في مرحلة الآباء، وأعطى موسى المهمة لأخراج شعب إسرائيل. كبر موسى وهو خجولا وبطيء الكلام،

أرتد من المهمة التي سوف تأخذه في القاعات وأمام الملوك. ولكنه أصبح مسلحا بعلامات فوق الطبيعية ولديه أوراق الأعتماد من الله ومع مهمة لهارون ليكون المتكلم باسمه، عاد موسى لمصر.

٤. المنافسة العظمى

نتابع الآن أكثرصراع عرفه التاريخ. إلتقى موسى بهارون عندما ترك أرض مديان. وذهبا سوية لملاقات شيوخ شعبهم، وأخبروهم بمهمتهم، وثبتوها بعلامات معينة.قبل الناس المظلومين مهمتهم، وأنحوا بكل وقارأمام عهد إله آبائهم. لم ينجحوا بمحاولاتهم مع فرعون. وبأسم الله طلب من الإسرائيلين الذهاب في رحلة مدتها ثلاثة أيام في البرية لتقديم الذبائح لله. وكان ذلك حسنا لفرعون وحسنا لشعبه، لم يوافق على الطلب المتواضع. وكان أول تأثير هو تثبيت السلاسل بأحكام وزيادة الضغط عليهم. وبعناد ورفض من قبل فرعون، وبتوبيخ قاسي من قبل أخوته الذي يكدحون، كان موسى على وشك نهاية أمره. الأوبئة العشرة و « الضربات » توالت واحدة بعد الأخرى: تحويل الماءإلى دم و الضفادع، والبعوض والذبان ومرض المواشي و الدمامل و البرد و الجراد والظلام و موت كل بكر.

١. طبيعة المنافسة. – لم يكن صراعا بين جنس العبيد وظالميهم فحسب، أنه صراع بين موسى وفرعون. أنه خلاف بين الله وإله المصريين. تقريبا كل وباء كان وباء طبيعي لمصر، ومع ذلك فأن القوة العجائبية أظهرت في قوتهم. وتكاثرهم في توالي سريع، جاءت وأختفت بأمر من موسى، إسرائيل مستثناة من الثلاثة الأولى، وأخيرا تقريبا كل واحد يضرب بنفس الشكل بسبب عبادة المصرين للأوثان.

٢. الحاجة للمنافسة. – تذكر أن في الأرض جنسا واحدا يقود لوحدانية وروحانية الله، وأنهم كانوا عبيد في خطر ضياع كلا من إيمانهم وهويتهم القومية. الأعداد والثروة والحضارة والقوة، كانت بنسبة مائة لواحد ضدهم، وكانت هذه النسبة ليست لصالحهم. كانوا يحتاجون للدرس من أجل أن لا يخسروا أبدا، – ولم تكن خسارة. أوثان مصر عادوا إلى التراب أو يزينوا متاحف الآثار القديمة، وإله إسرائيل يعبد من قبل العالم المتمدن. العلامات والعجائب في مصر جاءت لتملئ مكان كبير في الثقافة العبرية. أصبحوا مغروسين في الضمير القومي وبذلك شكلوا واحدا من أكثر القوى فاعلية والتي أبقت إسرائيل على إيمان أسلافهم في وسط جميع أغراءآت تعدد الآلهة الموجودة حولهم.

٣. نهاية المنافسة. – حلت آخر ضربة. ملاك الموت قرع على كل باب في مصر، من القصر حتى الكوخ، ومات كل بكر. ولكن بيوت العبرانيون المتواضعة أنقذت. وبطاعة لله أسسوا الفصح. نحروا الخروف ورشوا دمه على أعمدة الأبواب كعلامة على إيمان العبرانيين. ومر الرسول الغامض بدون أن يؤذي تلك البيوت التي ألتزمت بالفصح.تعالت صرخة عظيمة من مصر. سقطت السلاسل، ودفعت إسرائيل إلى الحرية. ولآخر مرة تقسى قلب فرعون. طاردهم، ووقعت إسرائيل في الفخ بين الجبل والبحر الأحمر أمامهم، أنشق البحر وعبرت إسرائيل وأنقذت، تبعهم المصريون وغرقوا في البحر.

٥. تأثير الأقامة الموقتة في مصر

بالرغم من مرارة العبودية في مصر إلا إنها حققت نتائج مهمة.

١. جعلت من إسرائيل أمة. – دخل اليهود مصر كأثنى عشر عائلة بدوية. يعقوب وأبناءه يعدون سبعون شخصا.تعداد جميع القبيلة كان ألفين أو ثلاثة آلاف. الذين بقوا في كنعان، والذين أنقسموا إلى العديد من القبائل الصغيرة. ساكنين في منطقة مكتظة بالسكان، وتحت يد الظلم الثقيلة، تم جمعهم في أمة.

٢. مدنتهم. – تركوا البدو أرض كنعان.و لم يكن عندهم أي مقياس للمدنية التي شاهدنا أعلاه. ولكن لا يمكنهم أن يستمروا إلى الأبد رعاة في مصر. كانت مصروستكون دائما أرض زراعية. أكثر من ذلك أنها ولمدة ألف سنة

كانت القائد للحياة الثقافية والمدنية في العالم. لقد أنعم الله على العبريين ولكنهم لم يستفيدوا من طول فترة أقامتهم الموقتة في هذه المدرسة.وخاصة موسى، «كان قد تهذب بكل حكمة المصريين وكان مقتدرا في الأقوال والأعمال» (أع ٧:٢٢)؛ ولكن كان عنده من يقوم مقامه.المهارة كانت واضحة عند أنشاء خيمة الأجتماع (خروج ٢٥-٤٠).

٣. الحوادث الأخيرة وثقتهم بإيمان وطني.- هل يستمرون إلى الأبد في مصر، أنهم بذلك سوف يفقدون في النهاية الإيمان الوطني والهوية الوطنية. ولكن مصر أصبحت السبورة التي كتب عليها الله الدروس التي لن تنساه إسرائيل أبدا. بالرغم من تكرار الأنتكاسات بالوثنية ولكن على المدى الطويل كانوا ملتزمين بالإيمان الوطني. والآن عليهم العودة إلى كنعان ليستقروا ويمتلكوا الأرض التي بها ولمدة مائتي سنة، إبراهيم وإسحق ويعقوب أقاموا فيها أقامات موقتة فكانوا كبدو رحل. ولكن ليس في الحال. رحلة عدة أيام ستأتي بهم لأرض كنعان. ولكن عمل التنظيم وأربعون سنة من التأديب تدخلت قبل أن يصبحوا مؤهلين لأمتلاك أرض الميعاد.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧